النّزعة التّحرّرية عند الشّيخ السّعيد الزّمّوشي من خلال نشاطه السّياسي والثّقافي بالغرب الجزائري 1904 –1960

The libertarian tendency of Sheikh Al-Saeed Al-Zummooshi throught his political and cultural activities in the Algerian west 1904 - 1960

الاسم الكامل للباحث الأول: فاتح طهاري[1*]، **الاسم الكامل للباحث الثاني**: محمد بلحاج[2]

[1] **مؤسسة الانتماء**: كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية–جامعة وهران1 (البلد) الجزائر،

الإيمايل المهني للباحث الأول:fateh.tehari@edu.univ-oran1.dz

[2] **مؤسسة الانتماء**: كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية– جامعة وهران1 (البلد) الجزائر،

الإيمايل المهني للباحث الثاني:mbelhadjdz@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/11/08 تاريخ القبول: 2023/06/10 تاريخ النشر: 2023/08/20

ملخص:

جلّ الكتابات التّاريخية المتعلّقة بالحركة الوطنية في شقّها الإصلاحي، انحصر فيها الحديث حول رواد الإصلاح الأوائل البارزين، كالشّيخ العلّامة عبد الحميد إبن باديس والبشير الإبراهيمي والعربي التّبسي وغيرهم، فيما تمّ إغفال النّظر عن العلماء الآخرين، مثل الشّيخ السّعيد الزّمّوشي الّذي يعتبر من الشّخصيات البارزة التي عملت إبّان فترة الإحتلال الفرنسي على إحياء مقوّمات الشّخصية الجزائرية، وغرس بذور الرّوح الوطنية في أوساط الشّعب الجزائري، بغرض بناء قاعدة شعبية لها القدرة على تبنّي أفكار الجمعية التّحررية، التّي تغذّي مطلب الحرّية والإستقلال.

كلمات مفتاحية: النّزعة التّحررية، الحركة الإصلاحية، السّعيد الزّمّوشي، النّشاط السّياسي، النّشاط الثّقافي، الغرب الجزائري، جمعية العلماء، وثائق الأرشيف.

Abstract:

Most of the historical writings related to the national movment on the reformist side focused talk about notable reformers like :Abdelhamid Ben Badis and Al-Bashir Al-Ibrahimi and Al-arbi Al-Tebsi and others, but other

reform scholars never mentioned them, like a Sheikh Al-Saeed Al-Zumooshi, who is considred one of the personalities who worked during the period of the French occupation to revive the elements of the Algerian personality and instilling the national spirit among the Algerian people in order to built a popular base that has sufficent capacity to adopt the liberating ideas of the association, that nourishes the demand for freedom and independence.

Keywords: libertarianism, reform movment, scholars association, Al-Saeed Al-Zummooshi, political activity, cultural activity, Algerian west, archive documents.

***المؤلف المرسل: ط.د– طهاري فاتح – كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية– جامعة وهران1**

1. مقدّمة:

تاريخ الحركة الإصلاحية الجزائرية كان ولا يزال من أهمّ محاور البحث التي استرعت إنتباه الباحثين والدّارسين، نظرا لزخم الاحداث والتّحولات التّاريخية الهامّة التّي عرفتها الجزائر على وجه الخصوص، والعالم العربي الاسلامي بصفة عامّة، مع مطلع القرن العشرين، وكان أبرز نتائج ذلك أن تأسّست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الخامس من مايو سنة 1931م، وقد ضمّت في صفوفها مجموعة من العلماء الاجلّاء الحكماء، كلّهم ذو فضل وسعة في العلم، يحملون في أعماقهم إيمانا راسخا وحماسة لا حدود لها، قصد خدمة الاهداف التّي أسّست من أجلها (العروبة، الإسلام، الجزائر) وتحقيق أهدافها النبيلة، يقول البشير الإبراهيمي مبيّنا هذه الحقيقة: **"إنّ جمعية العلماء لم تنفق أوقاتها كلّها، ولم توجّه قوتها بأجمعها إلى هذه الجهة فقط، كما يتوهّم بعض الواهمين، بل إنّ للجمعية برنامجا إصلاحيا علميا حكيما وهي موزّعة أعمالها على فصوله، معطية كل فصل ما يستحقّه، واقفة في كل عمل عندما يتهيّأ لها وسائله، ويتيسّر من أسبابه"**[1].

[1] سمير نعموني– سميرة بداوي، ديسمبر 2018، النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، الجزائر، م 6، ع16، ص 93.

فقد منّ الله تعالى على الجزائر بهذه الجمعية العلمية الإصلاحية في فترة عصيبة، ومن أحلك الفترات التي عرفتها الجزائر عبر تاريخها، كما منّ سبحانه وتعالى على هذه الجمعية بكثير من المصلحين الحكماء، ونذكر منهم على سبيل المثال لا على سبيل الحصر "الشّيخ السّعيد الزّمّوشي"، الّذي برز نشاطه الإصلاحي أكثر بمنطقة الغرب الجزائري.

فما محتوى هذا النّشاط الذي قام به الشّيخ السّعيد الزّمّوشي على الصّعيدين السّياسي والثّقافي؟

وإلى أي مدى ساهم في الدّفع بعجلة التّحرر الوطني، من خلال المنهج الإصلاحي الذّي تبنّاه؟

لقد اعتمدت في موضوعي هذا بالدّرجة الاولى على بعض من وثائق الارشيف المتواجدة على مستوى مصلحة **"أرشيف عمالة وهران"**، وهذا بغية الاقتراب أكثر من الحقيقة التّاريخية، وذلك بالعودة إلى مضانها الأصلية.

طبيعة الموضوع إقتضت الاعتماد على المنهج التّحليلي، مع تبنّي المنهج السّردي الوصفي في بعض الاحيان، وذلك بغرض الإحاطة بمختلف جوانب البحث، وتتبّع أهم المحطّات والمواقف المشرّفة من سيرة هذه الشّخصية الفذّة، وعليه فقد بدأت موضوعي بمقدّمة مهّدت لي طريق الدّخول في الموضوع، وبعدها قدّمت نبذة تعريفية عن الشّيخ السّعيد الزّمّوشي، ثمّ تطرّقت إلى أهمّ رحلاته في أرض الوطن والتي قادته إلى كلّ من قسنطينة ومعسكر، وبعد ذلك عرّجت على ذكر أهمّ مواقفه ونشاطاته في الحقل السّياسي، أردفتها بعرض بعض من أنشطته الثّقافية، وفي الاخير ختمت موضوعي بخاتمة تضمّنت أهمّ النّتائج المتوصّل إليها من خلال هذا البحث.

2. نبذة عن الشّيخ السّعيد الزّمّوشي:

1.2 مولده ومؤهلاته الفكرية:

هو الشّيخ محمّد السّعيد ابن بلقاسم، ورحمونة بنت يوسف، ولد يوم 04 مارس 1904م، في عين البيضاء، ولاية أم البواقي بمنطقة الاوراس[2]، ينحدر من أسرة ميسورة الحال، دخل كتّاب بلدته حيث تعلّم مبادىء اللّغة العربية والكتابة، كما حفظ ما تيسّر من القرآن الكريم، وعندما شبّ طوقه، انتقل إلى جامع الزّيتونة بتونس لمواصلة تكوينه العلمي والفكري، فتحصّل هناك على شهادة التطويع[3]، هذه الشّهادة تعدل في وقتنا الحالي شهادة اللّيسانس، ولعلّ أنّ ما كان يتميّز به من فطنة وذكاء وحرص هو ما ساهم في إقناع عائلته ببعثه إلى جامع الزّيتونة، وهناك أحيط بالرعاية والاهتمام من طرف مشايخ الجامع أمثال الشّيخ بلّوتيني والشّيخ بولحبال، الّذين كانا لهما دور في التّكوين القاعدي للشّيخ عبد الحميد بن باديس.

ترك الشّيخ سعيد الزّمّوشي انطباعا حسنا في نفوس التّوانسة الّذين أبوا إلّا أن يمنعوه من العودة إلى أرض الوطن، حيث رغبوا بشدّة في أن يكون ضمن هيئة التّدريس بجامع الزيتونة، وفعلا بقي هناك إلى غاية أن غادرهم، وعاد إلى أحضان الوطن، برفقة وفد من أهل منطقته.

مباشرة وفور عودته إلى الجزائر، تصدّى للتّدريس ببلدته، مدينة عين البيضاء، حيث كان ذلك سنة 1925، وعندما زار الشّيخ عبد الحميد بن باديس –رائد الفكر الإصلاحي بالجزائر– مدينة عين البيضاء، في إطار تجولاته الإصلاحية التي قادته إلى الشّرق الجزائري، إلتقى بالشّيخ السّعيد الزّمّوشي، كان ذلك بتاريخ يوم 29 أكتوبر سنة 1925،

---

[2] محمد بلحاج، 2009، الخطاب السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بين الإصلاحية والثورية، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، سيدي بلعباس (الجزائر)، م1، ع1، ص 84.

[3] بوعلام بلقاسمي وآخرون، 2007، موسوعة أعلام الجزائر 1962/1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ص 61.

ومن بين النشاطات التي قام بها هذا الأخير إلقاءه محاضرة قيمة بعنوان "التّوسل"، نالت إعجاب الحضور.

2.2 رحلته إلى قسنطينة

سنة 1930 عقدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إجتماعا برئاسة عبد الحميد بن باديس، وبموجب هذا الاجتماع تمّ تعيين الشّيخ السّعيد الزّمّوشي عضوا بالجمعية، وقد كلّف بالمالية، كما أسندت له مهمّة التّدريس في الجامع الأخضر بقسنطينة، حيث أبرز كفاءة عالية وإخلاصا منقطع النّظير في آداء مهامه المنوطة به، ما جعله مضرب المثل في التّفاني والإلتزام، حيث كتب الشّيخ بلقاسم الزّغداني –وهو أحد كبار تلاميذ الشّيخ إبن باديس– قائلا: "...استجدّت هذه الجمعية في هذه السّنة أستاذا من خيرة خرّيجي جامع الزّيتونة–عمّره الله– ليعينها في مهمّتها وما تصبو إليه في مستقبل الايّام، ولو كانت ميزانيتها متّسعة لاستجدّت أساتذة وأساتذة، هذا الأستاذ هو الشّيخ السّعيد الزّمّوشي الصّائغي البيضاوي، كان سلمه الله مرشدا ومدرّسا ببلدته عين البيضاء، منذ أن حاز شهادة التّطويع، دائبا في تحبيب العلم لقومه، وإيصاله إلى عقولهم، في تواضع كبير، فعانى في أثناء ذلك عناء كثيرا، وتلقّى منهم صمودا وأي صمود، والقوم في جمود الرّأي وبلادة الذّهن، وسيّما أنّهم حديثوا عهد بالعلم إزاء هذا الصّمود، والشّيخ السّعيد لم يثنه عن إرشاده وغايته شيء، داعيا: اللّهم اهد قومي فإنّهم لا يعلمون"، وبالجملة لا يعلم الفضل إلا ذووه.

لما انتدبته "جمعية التّربية والتّعليم" أجابها دون تردّد وكان من مدرّسيها النّاشطين، فكان بحقّ مصدر فخر لجمعية التّربية والّتعليم، وذلك دليل قاطع على حسن إختيارها وأصالة رأيها، يقول الشّيخ أحمد حمّاني–رحمه الله–: "فنحن أعرف النّاس بهذا الاستاذ الجليل وإن انتخبته (يقصد جمعية الّتربية والتّعليم)، فقد انتخبت فيه معلومات صحيحة وأخلاق طيبة، وسلوك محمود، وفكر معتدل[4].

[4] جريدة النجاح، 25جمادى الثانية 1350هـ/11نوفمبر 1931م، ع 1230، ص 2.

من أبرز التّلاميذ الّذين درسوا على يد الشّيخ سعيد في الجامع الأخضر نذكر الشّيخ أحمد حمّاني الميلي، حيث قال في معرض حديثه عن ذكريات الدّراسة والتّدريس بالجامع: "في أوّل السّنة الدّراسية، كنّا ضمن طلبة –الجامع الأخضر و–سيدي قمّوش–، وفي هذه السّنة تأسّست جمعية العلماء وتضاعف عدد الطلبة، وكنّا مع الشّيخ في التّدريس، الشّيخ السّعيد الزّمّوشي...أخذنا النّحو والصّرف والفقه والتّوحيد..."[5].

3.2 رحلته إلى معسكر:

في إطار توسيع رقعة نشاط الجمعية بالغرب الجزائري تمّ فتح مدرسة إصلاحية بمدينة معسكر سنة 1932م، وكان هذا أوّل إجراء أقدمت عليه الجمعية قبل أي إجراء آخر، وما كان ذلك ليتحقّق لولا وجود مجموعة من الرّجال الإصلاحيين الذّين أحاطوا بالشّيخ السّعيد الزّمّوشي وخصّوه بالعناية والتّكريم، حيث قاموا باستأجار منزل له، يعرف "بمنزل النهاري"، وهو يقع بشارع السّلطان، (أبو القاسم حاليا)، في حي بابا عليّ على مقربة من ضريح الشّيخ "أبي راس النّاصري"، وقد قاموا بإدخال بعض الإصلاحات والتّنظيمات عليه، فأصبح يتكوّن من ثلاثة أقسام.

في هذه المدرسة اشتغل الشّيخ الزّمّوشي بالتّعليم والوعظ والإرشاد، كما دأب على إقامة حلق العلم والدّروس الدّينية، التّي كان النّاس يتسابقون لحضورها وإن دلّ ذلك على شيء فإنّما يدلّ على إلتفاف أهل معسكر بالشّيخ، وفي المقابل فقد تعهد الشّيخ بواجب التّوعية الدّينية والاجتماعية، كما قام بدعم تلاميذ هذه المدرسة، وحرص على رفع مستوى الوعي الجماهيري خاصّة وأنّه كان قد حظي بشرف افتتاحها[6].

بحلول سنة 1934م، كان التّعليم الإصلاحي بمعسكر قد شهد نجاحا باهرا، متجاوزا حجم التّوقعات التّي رسمتها الجمعية فيما يخصّ النّهوض بالجانب التّربوي

[5] أحمد حماني، 1984، صراع بين السنة والبدعة، دار البعث، الجزائر، ص 289.

[6] لحسن جاكر، 2009/2008، الحركة الوطنية في معسكر 1930–1954، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، الجزائر، ص 100.

والتّعليمي، فالمدرسة الحرّة أصبحت تستقطب 75 تلميذا، تتراوح أعمارهم ما بين السّابعة والثّانية عشر سنة، الأمر الّذي فتح المجال أمام الشّيخ السّعيد الزّمّوشي من أجل إرسال أول بعثة علمية إلى جامع الزّيتونة، ضمّت هذه البعثة ثلاثة طلبة وهم: "حسين قايد"، "حسين بوعبسة"، "ميلود بوزيان"[7].

لم يمرّ هذا النّجاح الباهر للمدرسة الإصلاحية بمعسكر أمام الإدارة الفرنسية مرور الكرام فقامت بإصدار عدّة قوانين تعسّفية للحدّ من نشاطها الاصلاحي، ومارست عليها ضغوطات رهيبة ، حيث أنّ الادارة الفرنسية لطالما رفضت منح الشّيخ سعيد الزّمّوشي رخصة لمزاولة التّدريس، بل وصل الامر لحد غلقها للمدرسة، في أحيان كثيرة، إلّا أنّ الشّيخ لم يكن ليعير ذلك أدنى إهتمام، وماكان ليثني من عزيمته، فواصل تأدية دوره الإصلاحي التّربوي والتّعليمي[8].

3. مواقفه السّياسية وتأييده للعمل الثوري:

1.3 مواقفه السّياسية:

تأسّست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الخامس من مايو سنة 1931، وقد نصّ قانونها الاساسي على أنّها جمعية وطنية إسلامية إصلاحية تربوية ثقافية، ركّزت جلّ إهتمامها على الجوانب الدّينية والثّقافية للمجتمع الجزائري بعيدا كلّ البعد عن الخوض في أمور السّياسة[9]، إلّا أنّ الحملات القمعية المتكرّرة من طرف الادارة الفرنسية تجاه الجمعية وشيوخها، قد أجبر علماء الإصلاح سواء بإعتبارهم ناطقين رسميين باسم الجمعية، أو أفرادا يحملون على عاتقهم مهمّة الدّفاع عن مصالح وحقوق الشّعب الجزائري بكافّة أطيافه، أجبروا على ولوج عالم السّياسة من أوسع أبوابه، والمتتبّع لمسار الحركة الإصلاحية يرى بأنّها اتّبعت مبدأ التّدرج في الدّفاع عن كيانها والمطالبة بحقوق الجزائريين، عملا بسياسة: "خذ

[7] محمد الحسن فضلاء، 1999، المسيرة الرائدة للتعليم الحر بالجزائر، دار الامة، الجزائر، ج3، ص 100.

[8] لحسن جاكر، المرجع السابق، ص 103.

[9] رشيد مياد، 2016م، مباديء ومجالات الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين، مجلة الخلدونية، الجزائر، م 9، ع 1، ص 192.

وطالب"، بما في ذلك الجانب السّياسي، وعليه فقد تعدّدت أساليب المقاومة السّياسية لدى جمعية العلماء، فتجدهم تارة يندّدون ومن ذلك نذكر ما تضمّنه أحد التّصريحات للشّيخ السّعيد الزّمّوشي، حيث ندّد بسياسة القمع والتّزوير الانتخابي التّي حصلت بمناسبة انتخابات أفريل 1948م الخاصّة بالمجلس الجزائري: "لقد كان شمال افريقيا مسلما، وسيبقى كذلك...، لمدّة خمس سنوات كانت فرنسا محتلّة من طرف ألمانيا، وتمكّنت من الإنعتاق بفضل المقاومة، فلنعتبر من ذلك...، والحرّية تأخذ بالدّم والسّجن الّذين بدونهما لن نتمكّن من طرد فرنسا أبدا..."[10]، وقد كان هدف فرنسا من خلال تزوير الانتخابات هو تقليص الدّور السّياسي للجزائريين في المجالس المنتخبة.

من أشكال القمع التي استعملتها الادارة الفرنسية تجاه الجزائريين هو ما تعرّض له الشّعب الجزائري في تلك الفترة الحالكة من إصدار القوانين التّعسّفية الجائرة، وقد قابلها الشّعب الجزائري بالرّفض القاطع، واعتبرها تكريسا لسياسة التّمييز العنصري، وإثارة النّعرات بين أبناء الشّعب الواحد، تحت شعار: "فرّق تسد".

أشتهر الزّمّوشي بخطاباته الحماسية الرّامية إلى تأجيج الثّورة في نفوس الجاهير وإعلانها حربا ضروسا في وجه المحتلّ، بسبب الاوضاع المزرية التّي خلّفتها سياسته على كلّ المستويات، ففي وقت كانت فيه الآلة الحربية الألمانية تجتاح معاقل الدّولة الفرنسية، ما أدّى إلى ضعف القوّات الفرنسية وتقهقرها، ألقى الشّيخ سعيد الزّمّوشي خطابا حماسيا، استنهض من خلاله همم الجماهير الشّعبية الحاضرة، ودعاهم فيه إلى الاستشهاد والتّضحية بالنّفس والنّفيس، من أجل طرد هذا الاستدمار، ونيل الحرّية والاستقلال.

يفيدنا أحد تقارير الشّرطة الفرنسية الواردة، أنّه بتاريخ 19 أوت 1951م، على السّاعة السّادسة والنّصف مساءً، بمقرّ مدرسة "جمعية التّربية والتّعليم، الكائن بوهران، وبحضور حوالي 50 شخصا، توجّه الشّيخ الزّمّوشي بخطاب تضمّن الكثير من عبارات

[10] AWO, Boite N° : 6987, Rapport de police de renseignement generaux d Oran, le s.d.

الازدراء والنّقد اللاذع للقوّات الفرنسية بسبب تضييقها على الحرّيات الدّينية للمسلمين الجزائريين، وتدخلها المباشر في شؤون الاوقاف، كما حثّ الجمهور الحاضر على ضرورة الالتفاف حول الجمعية وتقديم الدّعم المادّي والمعنوي لها، باعتبارها الممثّل الشّرعي المدافع عن قوميتهم العربية الاسلامية وحرّياتهم المدنية والدّينية المسلوبة، خصوصا الممتلكات الدّينية منها، بهدف ممارسة شعائرهم الدّينية في جو من الحرّية والاستقلالية[11].

وجاء في تقرير آخر أنّه في يوم 23 فيفري 1950م، قام الشّيخ الزّموشي بشنّ حملة شرسة على إدارة الإستعمار، حيث جاء على لسانه مايلي: "إنّ الاستعمار عمد إلى تقسيم المسلمين كي يتربّع على عرش الحكم"، وأضاف قائلا: "المسلم الجزائري أعداؤه ثلاثة: الجهل والاستعمار والطّرقية"[12].

وعليه فقد دعا الشّيخ الزّموشي الشّعب الجزائري إلى الوحدة ونبذ التّفرقة، قال تعالى: «***إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ***» [سورة الأنبياء: الآية 92]

كما ظهرت مساعي الجمعية في توحيد الصّف السّياسي الوطني، حيث يفيدنا أحد التقارير بأنّ جمعية العلماء سعت إلى الوساطة بين جبهة التّحرير الوطني ومصالي الحاج زعيم حركة انتصار الحرّيات الدّيمقراطية، ومحاولة تقريب وجهات النّظر بينهما فيما يخصّ مستقبل القضيّة الوطنية.[13]

في أكثر من مناسبة حذّر الشّيخ السّعيد الزّموشي المسلمين الجزائريين من التّفرقة مذكّرا إيّاهم بأنّ المسلم الجزائري صاحب القومية العربية الإسلامية، عليه أن يكون كيّسا فطنا، فهو يخوض جهادا على ثلاث جبهات، الجبهة الاولى هي الجهل، قال تعالى: «***قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ***»[سورة الزّمر: الآية 09]

[11] AWO, Boite N° : 6987, Rapport de police, le 24/03/1952.
[12] AWO, Boite N° : 6987, Rapport de police, le 05/02/1950.
[13] AWO, Boite N° : 6987, Note de renseignement, PRG, Mostaganem, le 26/03/1956.

ثاني جبهة هي الإستعمار، حيث دعى الزّمّوشي الجماهير الجزائرية إلى الوقوف في وجهه، ومجابهته بكافّة الوسائل المتاحة، والتّحرر من قيوده، باعتبار الحرّية مبدأً فطريا في النّفس البشرية، وثالثا الطّرق الصّوفية، فإنّ الاستعمار الفرنسي ما رست قواعده في الجزائر، وفي شمال افريقيا على العموم، وفي افريقيا الغربية وفي افريقيا الوسطى إلاّ على الطّرق الصّوفية وبواسطتها، وقد قال قائد عسكري فرنسي معروف كلمة أحاطت بالمعنى من جميع أطرافه، قال: "إنّ كسب شيخ طريقة صوفية أنفع لنا من تجهيز جيش كامل وقد يكونون ملايين، ولو إعتمدنا في إخضاعهم على الأموال والجيوش، لما أفادتنا ما تفيده تلك الكلمة الواحدة من الشّيخ، على أنّ الخضوع لقوتنا لا تؤمن عواقبه، لأنّه ليس من القلب، أمّا كلمة الشّيخ فإنّها تجلب لنا القلوب والأبدان والأموال أيضا"[14].

وفي إحدى المحاضرات التي ألقاها الشّيخ سعيد الزّمّوشي بتاريخ الفاتح من شهر ديسمبر سنة 1953، في حدود السّاعة الخامسة مساءً، بمدرسة "جمعية التّربية والتّعليم" بوهران، وبحضور ثلاثون شخصا، وكان موضوع المحاضرة حول "قضية فصل الدّين عن الدّولة الفرنسية"[15]، حيث دعى السّلطات الفرنسية دعوة صريحة إلى عدم تدخلها في شعائر الدّين الإسلامي، وترك الحرّية للمسلمين في تعيين رجال دينهم، من أئمّة ومفتين ومدرّسين ووعّاظ، ومردّ ذلك أنّ الإدارة الفرنسية أقدمت على تعيين رجال يفتون للنّاس وفق ما تمليه هي عليهم، حيث صرّح "كامبون" الحاكم العام الفرنسي في الجزائر قائلا: "إنّ الشّيخية أو أتباع طريقة أولاد سيدي الشّيخ، قد أصبحت في صفّنا، والطّيبية على وشك الإنظمام إلينا، أمّا زاوية –وازن– فقد باتت تحت حمايتنا، بل أصبحت تقريبا من رعايانا".[16]

2.3 تأييده للعمل الثّوري:

[14] أحمد طالب الابراهيمي، 1997، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج5، بيروت (لبنان)، ص 143.

[15] AWO, Boite N° : 6987, Rapport de police, le 05/12/1951.

[16] شارل روبير أجيرون، 2008، تاريخ الجزائر المعاصرة، دار الأمة، ترجمة المعهد العربي العالمي للترجمة، برج الكيفان (الجزائر)، ج2، ص 280.

بتاريخ الثّالث من سبتمبر سنة 1954م وقف الشّيخ أحمد توفيق المدني مخاطبا الشّعب الجزائري: "على سفوح جبال الأوراس غير بعيد عن آثار تيمقاد ولامبيز، تذكّروا أنّ أسلافكم طردوا الإحتلال الرّوماني منذ قرون بعيدة، اليوم ها قد عاد إستعمار آخر، لكنّ ساعته ستحين قريبا وعليه أن يختفي..."، إنّ المعنى الحقيقي والصّحيح الذّي يدلّ عليه هذا الخطاب بلا شكّ هو التّأييد اللامشروط للثّورة حتّى قبل إندلاعها، والحقّ الحقّ أنّ موقف المدني هذا لا يعدّ موقفا شخصيا، بقدر ما يمثّل إعلانا صريحا ورسميا، صادرا عن الجمعية باعتبارها تيارا وطنيا قائما بذاته.[17]

وبتاريخ 15 مارس 1954 حيث لم يكن يفصلنا عن تأسيس "المنظمة الثّورية للوحدة والعمل"، سوى أسبوع واحد، صرّح الشّيخ الزّموشي بمايلي: "إنّ مهمّة العلماء تجديد الإسلام وتنقية العقيدة... ومهمّتهم تحرير الجزائر من نير الإستعمار"[18]. إنّ القراءة التّاريخية الموضوعية لهذا التّصريح تعكس لنا بشكل قاطع، وطنية وثورية هذا الشّيخ، حيث أنّه لم يكن بالمعزول عن الأحداث والتّطورات التّي شهدتها السّاحة الوطنية، بل كان ضمن التّيار الثّوري الذّي عارض الإدارة الفرنسية، منذ البداية إلى غاية إندلا ع ثورة أوّل نوفمبر المظفّرة، حيث إنظمّ دون تردّد إلى جبهة الّتحرير الوطني، باعتبارها الوعاء الذّي ضمّ كافّة التّيارات الوطنية، وقد أُسندت له مهمّة جمع التّبرعات المالية لصالح الجبهة، كما كلّف بمهمّة الاستعلامات بمنطقة وهران[19]، حيث كان ينتقل نهاية كل أسبوع إلى بلدته عين البيضاء، ويلتقط أخبار الثّورة، ليرويها بحماس على أساتذة المعهد.[20]

---

[17] عبد النور خثير، 2008، الدور السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1956/1931 من خلال بعض الكتابات التاريخية الفرنسية، حوليات التاريخ والجغرافيا، الجزائر، م 1، ع 2، ص 79.

[18] عبد النور خثير، المرجع نفسه، ص 78.

[19] محمد بلحاج، المرجع السابق، ص 84.

[20] عمر بلعربي، 2018/2017، أعلام الحركة الإصلاحية بالغرب الجزائري –دراسة في السير والمواقف–، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة ابي بكر بلقايد –تلمسان–، الجزائر، ص 173.

وبمناسبة صلاة الجمعة المصادف ليوم 20 جانفي 1956، قام الشّيخ الزّمّوشي بإلقاء كلمة في مدرسة الفلاح أهمّ ما جاء فيها مايلي: "إنّ قوات العدل تنتصر على قوات الظّلم، ندعو أن يكون هذا النّصر شاملا وسريعا في أي لحظة من اللّحظات"، وعند نهاية الإحتفال تمّ جمع ما قيمته 30000 فرنك فرنسي، لصالح المساجين السّياسيين، ثمّ وزّعت على أهالي المساجين كلّ حسب اسمه.[21]

ممّا يدلّ كذلك على إخلاص الشّيخ وتأييده للثّورة التّحريرية المظفّرة، أنّه أذن لإبنته "فتيحة" الإنخراط في صفوفها، وقد كان متحمسا في دعوة طلّاب المدارس للإلتحاق بالعمل الثّوري، ما عرّضه للمضايقات من طرف الإدارة الفرنسية[22]، بل وصل الأمر لحدّ إعتقاله وتعذيبه بغرض استنطاقه، ورغم كلّ ذلك فلم ينطق بكلمة واحدة.[23]

4. نشاطه الثقافي:

إنّ السّياسة الاستعمارية الوحشية التي عمدت فرنسا إلى انتهاجها ضدّ الشّعب الجزائري، كانت قائمة على القمع والتّنكيل والسّجن والإبادة، هذا في الجانب السّياسي والعسكري، أمّا في الجانب الثّقافي فلم تكن سياستها أقلّ وحشية، حيث سعت سعيا حثيثا لتغربة الجزائريين وتجهيلهم وعزلهم قصريا عن مقوماتهم العربية الاسلامية،[24] وهذا ما شكّل دافعا أساسيا لرجال الحركة الاصلاحية للتّصدي لهذه السّياسة وإجهاض أيّ محاولة لدمج الجزائر بفرنسا، وقد كان الشّيخ الزّمّوشي من الأوائل الّذين كان بالمرصاد لهم، فيما يخصّ الدّفاع عن مقومات هذه الأمّة من لغة (العربية)، ودين (الإسلام)، وتاريخ وتراث عربيّ إسلاميّ، ومن بين أهمّ إسهاماته في هذا المقام نذكر:

1.4 دفاعه عن اللّغة العربية ودعوته إلى تدريسها:

[21] AWO, Boite N° : 6987, Rapport de police, le 24/01/1956.

[22] عمر بلعربي، المرجع نفسه، ص 174.

[23] فتيحة الزموشي، محور: النشاط الفدائي لنساء الجمعية بعمالة وهران، مديرية المجاهدين وذوي الحقوق (وهران)، 2022/05/31، سا 11 و 31 د.

[24] عبد الكريم بوصفصاف، 1983، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، رسالة ماجستير-إشراف توفيق برنو، الجزائر، ص 87.

في سهرة يوم 26 ماي 1956 من السّاعة السّادسة وخمسين دقيقة إلى حدود السّاعة السّابعة وخمسين دقيقة، تمّ إنعقاد اللّجنة المحلية لجمعية العلماء الإصلاحيين، بعد ذلك انظمّ إليهم حوالي 350 شخصا، تحت إشراف ورئاسة الشّيخ السّعيد الزّموشي، الّذي أخذ الكلمة قصد عقد هذا الإجتماع الذّي تمّ في مقرّات مدرسة "جمعية الفلاح"، الواقعة بـ: نهج "جوزيف اندريو"،"Andrieu Joseph"، وقد تطرّق في هذا الإجتماع إلى موضوع تطبيق قوانين الإعتراف باللّغة العربية كلغة رسمية من جهة، وإعطاء تسيير الأوقاف إلى لجنة الثّقافة الاسلامية من جهة أخرى، وبموجب هذا الإقتراح تمّ إرسال برقيات إلى السّيد رئيس المجلس، وإلى وزير الدّاخلية، وإلى الحاكم العام للجزائر العاصمة، وإلى المنتخبين المسلمين، وإلى غرفة النّواب، وهذا الإقتراح تمّ الإتّفاق عليه بالإجماع.[25]

بمدرسة تيجديت، يوم 28 أوت 1951، ألقى الشّيخ سعيد الزّموشي محاضرة قيّمة، بعد آداء صلاة المغرب، بحضور حوالي 200 شخص من المسلمين، حيث دعاهم الشّيخ إلى إحياء علوم اللّغة العربية، وذلك بتقديم توجيهات للأطفال، بأنّ هذه اللّغة هي لغة أسلافنا وأجدادنا، وأنّها لغة غنيّة، بها نستطيع تلبية آمالنا، ومن أجلها يلزمنا بذل أقصى المجهودات في سبيل بناء المدارس، الّتي تسمح لنا بتدريس اللّغة العربية كما يجب أن تكون.

وفي الغد ألقى الشّيخ محاضرة أخرى، في نفس المدرسة، جاء فيها: "كيف يعقل أنّ المستعمر يسعى إلى تدريس اللّغة الفرنسية، ونحن المسلمون لم نقم بأيّ مبادرة من أجل تعليم اللّغة العربية، إذن فعلينا أن نتّحد، ليس لبناء مدرسة واحدة فقط، بل مدارس في كل منطقة، من أجل تدريس لغتنا.[26]

2.4 إحياء التظاهرات والإحتفالات:

[25] AWO, Boite N° : 6987, Rapport de police, le 01/06/1950.
[26] AWO, Boite N° : 6987, Rapport de police, Aout-1950.

كان للشّيخ السّعيد الزّمّوشي حضور مشرّف ومشاركة فعّالة في العديد من الاحتفالات والفعاليات الثّقافية، ولا يتّسع المجال هنا بأيّ حال من الأحوال لذكرها جميعها، إذ سنكتفي بذكر بعضها:

– بالمؤسّسة التّربوية "جمعية الفلاح" أقيم إحتفال بهيج حضره جمهور غفير، وذلك بمناسبة الذّكرى الثّانية عشر لوفاة الشّيخ العلّامة عبد الحميد بن باديس رحمه الله، فبعد خطبة مختصرة للشّيخ السّعيد، استعرض الشّيخ أحمد توفيق المدني الأمين العام لجمعية العلماء، ولمدة ساعة ونصف المسيرة النّظالية للشّيخ بن باديس، الّذي كافح طيلة حياته الجهل والتّعتيم الدّيني، وضحّى بالنّفس والنّفيس من أجل حرّية التّعليم ونشر اللّغة العربية والدّين الاسلامي، وممّا قاله: "إنّ ابن باديس توفّي مرهقا من أجل الوصول إلى أرقى مستوى وهو التّجديد المعنوي للوطن.[27]

وفي ليلة 18 أفريل 1953 إجتمع أعضاء جمعية العلماء المكونين بمعسكر، في المدرسة الباديسية بالشّارع الكبير في "بابا علي" لإحياء الذّكرى الثّانية عشر لوفاة الشّيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله، وقد تمّ إحياء هذه الذّكرى تحت إشراف الشّيخ سعيد الزّمّوشي، مفتّش المدارس لمعهد وهران، وبمشاركة تلاميذ المدرسة، الّذين لفتوا أنظار الجماهير الحاضرة، وبعد ذلك ألقى الشّيخ سعيد كلمة نذكر منها مايلي: "...لابدّ من الإسراع في إنهاء مشروع بناء المدرسة الجديدة، كي نضمن تمدرس أكبر عدد ممكن من التّلاميذ، للمدن الكبيرة للمقاطعة".[28]

وقد أبدى الشّيخ تذمّره من مواطني ولاية معسكر الّذين لم يبذلوا الجهد اللّازم في سبيل المساعدة المالية، وقد حاول الشّيخ إقناعهم بأنّ هذه المدرسة إنمّا هي نموذج يهدف إلى التّعليم والتّربية والثّقافة فحسب، ولا علاقة لها بموضوع السّياسة، مثلما تروّج الإدارة الفرنسية.

[27] Oran republication, le 21/04/1952.
[28] AWO, Boite N° : 6987, Rapport de police, le 05/04/1953.

5. خاتمة:

إنّ دراسة شخصية الشّيخ السّعيد الزّمّوشي، وتتبّع مختلف الأدوار التي لعبها والإسهامات الجليلة التي ساهم بها على مستوى عديد الأصعدة (سياسيا، دينيا، اجتماعيا، ثقافيا،...) ما هي إلّا عيّنة بسيطة من أولئك المصلحين الّذين يعدّون مثالا يحتذى به في التّضحية والشّهادة، والّذين وهبوا أنفسهم فداءً لهذا الوطن العزيز، بهدف تحقيق الاستقلال والتّحررالمنشود، فإذا قمنا بعملية جرد للنّشاط الّذي قام به الشّيخ في مجال التّربية والإصلاح والتّهذيب ومحاربة البدع والخرافات والطّرقية، إضافة إلى نضاله السّياسي، وأخضعناه للتّقييم، فقد كان نشاطه مؤثّرا وفعّالا بشكل كبير، مسّ أغلب فئات المجتمع الجزائري كبارا وصغارا، رجالا ونساءً، ولامس مشاعر أغلب الجزائريين، إذ حملت مداخلاته ومحاضراته والدّروس التي كان يلقيها، في طيّاتها دعوة صريحة للشّعب الجزائري من أجل الوقوف في وجه المستدمر الفرنسي، والإنعتاق منه ومن معاونيه من أصحاب الطّرقية والمشعوذين، فهذا الرّجل ورغم كلّ التّضييقات والقيود والإجراءات الإضطهادية التّي انتهجتها السّلطات الكولونيالية ضدّه، إلّا أنّه لم يستسلم لمطالبها ولم يرضخ لها، بل قام برفع التّحدي وأبى على نفسه إلّا أن يُسهِم في توعية مجتمعه المنكسر، المغلوب على أمره، من واقعه المرير البائس.

6. قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

أوّلا: المادّة الارشيفية.

- أرشيف عمالة وهران، علبة رقم: 6987.

ثانيا: الكتب.

– أحمد حمّاني، 1984، صراع بين السنّة والبدعة، دار البعث، الجزائر.

- أحمد طالب الإبراهيمي، 1997، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، ج 5، بيروت (لبنان).

- بوعلام بلقاسمي وآخرون، 2007، موسوعة أعلام الجزائر 1962/1954، منشورات المركز الوطني للدّراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر.
- شارل روبير أجيرون، 2008، تاريخ الجزائر المعاصرة، دار الامّة، ترجمة المعهد العربي العالمي للتّرجمة، برج الكيفان (الجزائر)، ج2.
- محمد الحسن فضلاء، 1999، المسيرة الرّائدة للتّعليم الحرّ بالجزائر، دار الامّة، الجزائر، ج3.

ثالثا: الأطروحات.

- عبد الكريم بوصفصاف، 1983، جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الأخرى 1945/1931، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، رسالة ماجستير، إشراف توفيق برنو، الجزائر.
- لحسن جاكر، 2009/2008، الحركة الوطنية في معسكر 1954/1930، قسم التّاريخ، كلّية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، الجزائر.
- عمر بلعربي، 2018/2017، أعلام الحركة الاصلاحية بالغرب الجزائري – دراسة في السّير والمواقف – ، قسم التّاريخ، كلّية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد (تلمسان)، الجزائر.

رابعا: المقالات.

- رشيد ميّاد، 2016، مباديء ومجالات الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مجلّة الخلدونية، الجزائر، م 9، ع 1.
- سمير نعموني/ سميرة بداوي، ديسمبر 2018، النّشاط السّياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مجلّة الحكمة للدّراسات الاجتماعية، الجزائر، م 6، ع 16.
- عبد النّور خثير، 2008، الدّور السّياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1956/1931 من خلال بعض الكتابات الفرنسية، حوليات التّاريخ والجغرافيا، الجزائر، م 1، ع 2.
- محمد بلحاج، 2009، الخطاب السّياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بين الاصلاحية والثّورية من خلال وثائق أرشيفية، محمّد السّعيد الزّمّوشي أنموذجا، سيدي بلعباس (الجزائر)، م 1، ع 1.

خامسا: الصّحف والمجلّات.

- جريدة النّجاح، 25 جمادى الثانية 1350هـ/11 نوفمبر 1931م، ع 1230.
-Oran republication, le 21/04/1952.

سادسا: الشّهادات الحيّة.

– مقابلة: شخصية مع المجاهدة فتيحة الزّمّوشي، عنوان المقابلة: "دور المرأة الإصلاحية في مشروع التّحرر الوطني بمنطقة وهران، محور: النّشاط الفدائي لنساء الجمعية بعمالة وهران، المكان: مديرية المجاهدين وذوي الحقوق (وهران)، التّاريخ: 2022/05/31، التّوقيت: سا 11 و31 د صباحا.